التعريب في العصر الاموي والعباسي

للدكتور توفيق سلطان اليوزبكي

نشرت مجلة «آداب الرافدين التي تصدر عن جامعة الموصل بالعراق ، في عددها السابع 15 تشرين الاول 1976 هذا البحث الشيق للدكتور توفيق سلطان اليوزبكي نلخصه فيما يلي :

استهل الباحث الكريم بحثه مشيرا الى الاثر الكبير الذي أحدثته حركة الفتح الاسلامي للعراق وفارس والشام ومصر بمظاهرها العسكرية والبشرية والفكرية ، حيث اقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم العربية وآدابها ، وكذلك عن الاثر الذي احدثته الفرق الاسلامية ومذاهبها في توضيح هذه الثقافة . ثم انتقل السيد الباحث الى الحديث عن اثر الثقافات الاجنبية ومدارسها في التعريب حيث احتلت اللغة العربية المكانة اللائقة بها بين هذه الثقافات وكان لها اثر كبير على غير المسلمين للدخول في الاسلام حيث اقبل هؤلاء الاجانب على دراسة امهات الكتب العربية حتى اصبحت بغداد حاضرة العالم الاسلامي .

ولقد ذكر الكاتب الفاضل ممن تأثرا بالفكر العربي اليهود والنصارى والصابئة حيث اخذوا ينقلون عن اللغات الاخرى ويستدل الباحث في هذا الصدد بقول المستشرقين : سيديو وديورانت عن الاثر البليغ الذي احدثته الحضارة العربية في الشعوب الاخرى ، حيث حافظ العرب على المؤسسات العلمية التي كانت لاهل الذمة في البلاد المفتوحة والمدارس العلمية الاخرى التي كانت بها . ثم اشار السيد الباحث الى دور هذه المدارس في نشر الثقافة كمدرسة حران وهي مدينة في الجزيرة شمال العراق وذكر نخبة من اساتذتها وخريجيها منهم ابو عبد الله البتاني الفلكي المشهور ، وثابت بن قرة المترجم المشهور ،وابو الحسن ثابت واسحق وابو الفرج الخ،ومدرسة نصيبين وهي مدينة تقع بين اعالي بلاد ما بين النهرين التي ساعدت على نشر كتب الفلسفة اليونانية التي ترجمها النصارى النساطرة .

ومدرسة جند يسابور وهي مدينة تقع في خورستان التي كانت بها مدرسة الطب المشهورة التي اسسها كسرى وزاد نشاط هذه المدرسة بعد اتصالها بالمسلمين واشتهر من اساتذتها وطلابها في العصر العباسي جرجيس بن بختشوع الطبيب المشهور . وحفيده جريل بن بختشوع ، ويحيى بن البطريق وزكريا بن يحيى بن البطريق وابو يوحنا بن ماسويه ، ولقد قامت هذه المدرسة بدور هام في التعريب والتاليف والترجمة من السريانية الى العربية .

ثم انتقل الباحث الى الحديث عن دوافع حركة التعريب فأشار الى ان هذه الحركة بدأت في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حيث جعلا اللغة العربية الرسمية في دواوين الدولة ومراسلاتها . وانكب الكثير من الداخلين في الاسلام على التبحر في علومه لفهم القرآن وايجاد قواعد للغة العربية وهو ما اصطلح على تسميته فيما بعد بعلم النحو ، واشار الكاتب الى الدور الكبير الذي لعبه سيبويه — احد تلامذة الفراهيدي —

بوضعه علم النحو فى صورة نظامية جرت عليها الاجيال المقبلة وكان ينافسه فى هذا العلم الكسائى الكوفى .

ويؤكد الكاتب ان اقبال المسلمين على تشجيع حركة التعريب يعود ايضا الى ظهور الفرق الاسلامية وبروز فكرة الاعتزال والقول وفى القضاء والقدر ويؤكد المؤلف ان الفتوحات الاسلامية والفكر الاسلامى كان لهما اسهام كبير فى حركة التعريب هذه حيث اقبل العرب على التزوج بالاجنبيات من البلاد المفتوحة فادى ذلك الى نشأة اجيال تجيد لغات متعددة اقبلت فيما بعد على ترجمته ونقل الكثير من علوم مختلف الامم والشعوب . ويشير الكاتب الى ان اولى محاولات التعريب فى العهود الاسلامية كانت (تعريب النقود) منذ الخليفة عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب ثم عبد الله بن الزبير ، وتوسع المؤلف فى معالجة هذا الموضوع .

ثم انتقل الى الحديث عن تعريب الدواوين الذى بداه عبد الملك بن مروان فتحولت المراسلات فى الشام من الروحية الى العربية ، وتحولت فى العراق من الفارسية الى العربية على ايام ولاية الحجاج بن يوسف، أما الدواوين المصرية فقد عربت فى ولاية عبد الله بن عبد الملك فى خلافة الوليد سنة 87 هـ . وفى مجال حديثه عن اشهر من قام بدور التعريب ذكر الاموى الرهاوى الذى ترجم الكثير من كتب الالهيات اليونانية الى العربية.

واضطلع السريانيون بنشر الفلسفة اليونانية فى العراق ، و فى عهد المأمون وبعده كان منهم (الصابئة) من تولى ترجمة الكثير من الكتب الاجنبية .

ويشير المؤلف الى ان حركة التعريب هذه انصبت اساسا على كتب الفلسفة والطب والنجوم والمنطق وان دوافع هذه الحركة كانت هى خدمة العلم والعمل على نشره .

ونوه بعد ذلك بدور الفرس فى هذه الحركة حيث اقبل كثير منهم على اللغة العربية ومنهم موسى بن سيار الاسوارى الذى عجب به الجاحظ وقال عنه ان فصاحته بالعربية كانت فى وزن فصاحته بالفارسية .

واشار المؤلف فى هذا الصدد الى الفصل الذى عقده ابن النديم فى كتابه الفهرست عن اسماء النقلة من الفارسية الى العربية فذكر منهم عبد الله بن المقنع وآل نوبخت وموسى ويوسف ابنى خالد ومحمد بن الجهم والبرمكى وزاد ويه بن شاهويه وبهرام بن مردان شاه واسحق بن يزيد والبلاذرى وسواها من الاسماء التى اسهمت فى نقل الكثير من النفائس الفارسية الى العربية . اما من ترجم عن العبرية — يقول المؤلف — فلم يتعد اهتمامات الديانة اليهودية .

واهم ما عرب من كتب الهند كتاب «السند هند فى حركات النجوم» الذى امر المنصور بترجمته الى العربية. وفى العصر العباسى الاول بدأت حركة تعريب واسعة النطاق فى النواحى العلمية والثقافية منذ خلافة المنصور الذى كان شغوفا بالطب والهندسة وهو اول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة فبعث اليه بكتاب اقليدس وبعض كتب الطبيعيات . وشجع العلماء ، وفى هذا العصر نبغ فيلسوف العرب ابو يوسف الكندى وسواه من المشاهير. وبعد ان تحدث الكاتب عن دور الرشيد فى هذه الحركة انتقل للحديث عن المأمون الذى اقتدى بوالده الرشيد فى اهتمامه بالعلوم فجلب الكتب من ملوك الروم وانشأ بيت الحكمة المشهور وأرسل بعثات فى شراء الكتب . . الخ

ويشير الكاتب الى ان حركة التعريب بلغت اشدها على عهده حيث ترجمت فى هذا العهد كتب اليونان الكبرى مثل كتب افلاطون وارسطو وسقراط وجالينوس واقليدس وارخميدس وبطليموس وغيرهم

ويذهب المؤلف الى ان التعريب استمر فى عنفوانه وكثافته حتى اواسط القرن الثالث الهجرى وان المد التعريبى لم ينقطع وقد استمر حتى اواسط القرن الرابع الهجرى . ويعود الكاتب — مرة اخرى — ليؤكد دور اهل الذمة وذكر منهم اسماء كثيرة سبق ذكرها . ويشير فى الأخير الى الافادة العظمى التى افادته اللغة العربية بتوسيع معجمها بدخول الفاظ جديدة كثيرة اليها من لغات مختلفة كالفارسية واليونانية والهندية الخ .

وختم الدكتور اليوزبكى بحثه المائع بقوله :

ان نشاط حركة التعريب كان بدوافع رسمية وشعبية وكان للاسلام اثر كبير فى نجاح عملية تعريب الامم التى انتشر الاسلام فيها كما بعثت الحركات السياسية والفكرية والازدهار الثقافى والحضارى ولعب بعض خلفاء المسلمين دورا بارزا ومهما فى توسع هذه الحركة وانتشارها بين الشعوب التى خضعت لدار الاسلام .